

الطرق التجارية

شهدت الجزيرة العربية في الفترات والعصور التي سبقت ظهور الإسلام أدواراً حضارية وثقافية متعاقبة، وكانت مسرحاً لنشاطات إنسانية متحضرة للعديد من الممالك والحضارات العربية القديمة التي ظهرت وازدهرت فيها، الأمر الذي ساعدها على تبوء الدور الحضاري الفريد من نوعه موقعها الجغرافي المتميز لوقوعها في قلب العالم القديم بين حوض بلاد النيل بلاد الشام وبلاد الرافدين، وهي المناطق التي احتضنت الحضارات الكبرى في الشرق الأدنى القديم.

تقع شبه الجزيرة العربية بين بادية الشام شمالاً، والخليج العربي شرقاً، والمحيط الهندي جنوباً، والبحر الأحمر غرباً، وبذلك فهي تشرف على مسطحات مائية أو تحيط بها المياه من ثلاث جهات. إضافة إلى موقعها الاستراتيجي وسط العالم القديم من حيث موقعها الجغرافي والمناطق المناخية والنباتية، حيث يقع إلى شرقها الإقليم الموسمي الغني بإنتاجه الزراعي، كما يقع إلى غربها وشمالها إقليم البحر الأبيض المتوسط الذي يتصف بنتاج خاص من الإنتاج الزراعي يختلف عن الإنتاج للإقليم الموسمي، إضافة إلى إنتاجها من مواد عطرية وأعشاب طبية وتوابل وسلع مختلفة - وبعبارة أخرى- تقع الجزيرة العربية على أقصر طريق تجاري يربط بين أغنى أقاليم العالم القديم التي تختلف وتتفاوت في إنتاجها تفاوتاً كبيراً، الأمر الذي يؤدي إلى التبادل التجاري. ومن جهة أخرى، يشتهر سكان الجزيرة العربية بامتلاكهم لوسيلة المواصلات الهامة وهي الجمل، إلى جانب معرفتهم بالدروب والممرات داخل الجزيرة العربية، إضافة إلى ما يتمتعون به من معاشيتهم لبيئة الجزيرة العربية التي أكسبتهم مهارة في علم الفلك، ومعرفة الاتجاهات من خلال معرفتهم للنجوم السماوية، والسير على هديها ليلاً. (خارطة: ١).

فالملاحظ على العالم القديم، تكامل الأطراف لإنشاء تبادل تجاري بين الإقليم الموسمي، وبلاد الشام ، وبلاد الرافدين من ناحية ، وبين جنوب غرب الجزيرة العربية وشرقها، وشمالها، وبلاد مصر وبلاد شرق البحر الأبيض المتوسط من ناحية أخرى. وبناء على ذلك، وجدت مناطق الإنتاج المختلفة، وأسواق الاستهلاك وسكان الجزيرة العربية ووسيلتهم في السفر والترحال (الإبل) فيما بينهم وسطاء في النقل البري والتبادل التجاري. وبذلك نشأت الطرق والدروب لتسلکها التجارة عبر الجزيرة العربية، وأصبح جنوب غرب الجزيرة العربية مركز إشعاع وتواصل تخرج منه القوافل التجارية إلى شمال الجزيرة العربية حتى تصل إلى مواطن الحضارة المجاورة سواء في بلاد الرافدين وبلاد الشام حتى الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وكذلك حول خليج العقبة إلى ديار مصر. (خارطة: ٢).

أدت الطرق التجارية دوراً بارزاً في حضارة الجزيرة العربية خلال الفترات التاريخية المختلفة حيث كانت الطرق إحدى الأسباب والعوامل التي ساعدت على نشأة المدن والممالك العربية في الجزيرة العربية. كما يمكن الاهتداء غالباً لمعرفة الطرق التجارية القديمة بمعالم ثابتة؛ أهمها وجود مدن على تلك الطرق ذات ارتباط تاريخي وسياسي في منطقة من المناطق، والجانب الآخر وجود النقوش والكتابات على تلك الطرق والتي تلقي الضوء على السمات الحضارية، التي تبرز الجوانب السياسية والاجتماعية واللغوية والثقافية والصلات الحضارية بين المجتمعات القديمة.

والموقع والتضاريس الجغرافية لها أهمية كبيرة لأنها تعتبر من أهم العوامل المؤثرة تأثيراً بالغاً على حياة الإنسان وعلى نشاطه وتطوره ورقبه الحضاري والفكري والثقافي والاقتصادي عبر التاريخ ، بالإضافة إلى تأثيرها على العوامل الجغرافية الأخرى مثل المناخ والموارد المائية وخصوبة التربة والثروات الطبيعية وغيرها في توجه الطرق التجارية، وأيضاً التحكم في اتجاه مساراتها. وكانت تمر بالجزيرة العربية الطرق الموصلة إلى مواطن الحضارات القديمة، فقد كانت تمثل المعبر الرئيس للطرق التجارية الدولية، ولعبت دوراً أساسياً في شبكة التجارة القديمة التي كانت الجزيرة العربية تمثل الرابط الفعلي بين المراكز الحضارية المجاورة لها في الشرق الأدنى القديم، وتربط جنوب وجنوب شرق الجزيرة العربية بحضارة بلاد النهرين وبلاد الشام وبلاد النيل. حيث أسهمت محطات ومراكز التجارة في تنمية الطرق البرية مما أدى إلى تحكمها في القوافل التجارية، الأمر الذي أدى إلى أن تتعرض إلى غارات وغزوات الشعوب المجاورة في الفترات التاريخية المختلفة. (خارطة: ٣).

الطرق التجارية البرية:

كان للطرق التجارية دوراً بارزاً في نشأة المدن في الجزيرة العربية، فمن خلال الموقع الجغرافي للجزيرة العربية جعلها تلعب دوراً حيوياً في شبكة طرق القوافل التجارية القديمة، وتمثل الشبكة المترابطة التي تربط بين جنوب وجنوب شرق الجزيرة العربية بالحضارات المجاورة في بلاد الرافدين وبلاد النيل وبلاد الشام.

سارت طرق القوافل التجارية البرية القديمة، كالآتي:
الطريق الأول:

يبدأ من ميناء عدن وقنا في بلاد اليمن في جنوب الجزيرة العربية، مروراً بمأرب ثم يتجه نحو نجران فالطائف ثم مكة ويثرب وخيبر والعلا (ديدان) ومدائن صالح(الحجر)، ثم ينفصل الطريق ليتجه فرع منه إلى واحة تيماء ومنها يتجه

إلى بلاد الرافدين، أما الفرع الآخر فيستمر باتجاه الشمال إلى البتراء وغزة في أرض فلسطين متجهاً إلى بلاد الشام وبلاد النيل.
الطريق الثاني:

يبدأ من مدينة مأرب عاصمة مملكة سبأ ويتجه نحو نجران، ثم يتجه نحو الشمال الشرقي في وادي الدواسر، ويمر بقرية ذات كهل " الفاو " التي تشرف على الحافة الشمالية الغربية للربع الخالي، والتي تمثل النقطة التي يتقاطع فيها وادي الدواسر مع سلسلة جبال طويق، ومنها يتجه نحو الأفلاج ثم اليمامة، إلى واحة يبرين جنوب غرب الهفوف، ثم بعد ذلك إلى واحة الهفوف ومنها إلى جرها على ساحل الخليج العربي.

الطريق الثالث:

يبدأ من جرها باتجاه الهفوف، ثم يتجه إلى شمال أرض اليمامة في نجد، ثم يتجه إلى الشمال الغربي موازياً لسلسلة جبال طويق، ثم يتجه غرباً إلى إقليم القصيم، ومنها إلى حائل ثم إلى تيماء، متجهاً إلى البتراء باتجاه بلاد الشام.

الطريق الرابع:

يبدأ الطريق من حضرموت بمحاذاة ساحل بحر العرب والمحيط الهندي والممالك العربية الجنوبية (حضرموت ومنطقة عمان)، حيث يبدأ من الخليج متجهاً شمالاً بزاوية الغرب ماراً بمحاذاة الحدود الشرقية لهضبة نجد، ثم يتجه منها إلى الشمال في اتجاه بلاد الرافدين، أو نحو بلاد الشام.

الطريق الخامس

يبدأ من منطقة حضرموت ومنطقة عمان متجهاً إلى إقليم اليمامة مروراً عبر الطرف الشرقي من الربع الخالي صاعداً شمالاً إلى بلاد الشام وإما بلاد الرافدين، يلتقي بالطريق الشرقي وأيضاً بفرع الطريق الغربي. (خارطة: ٤).

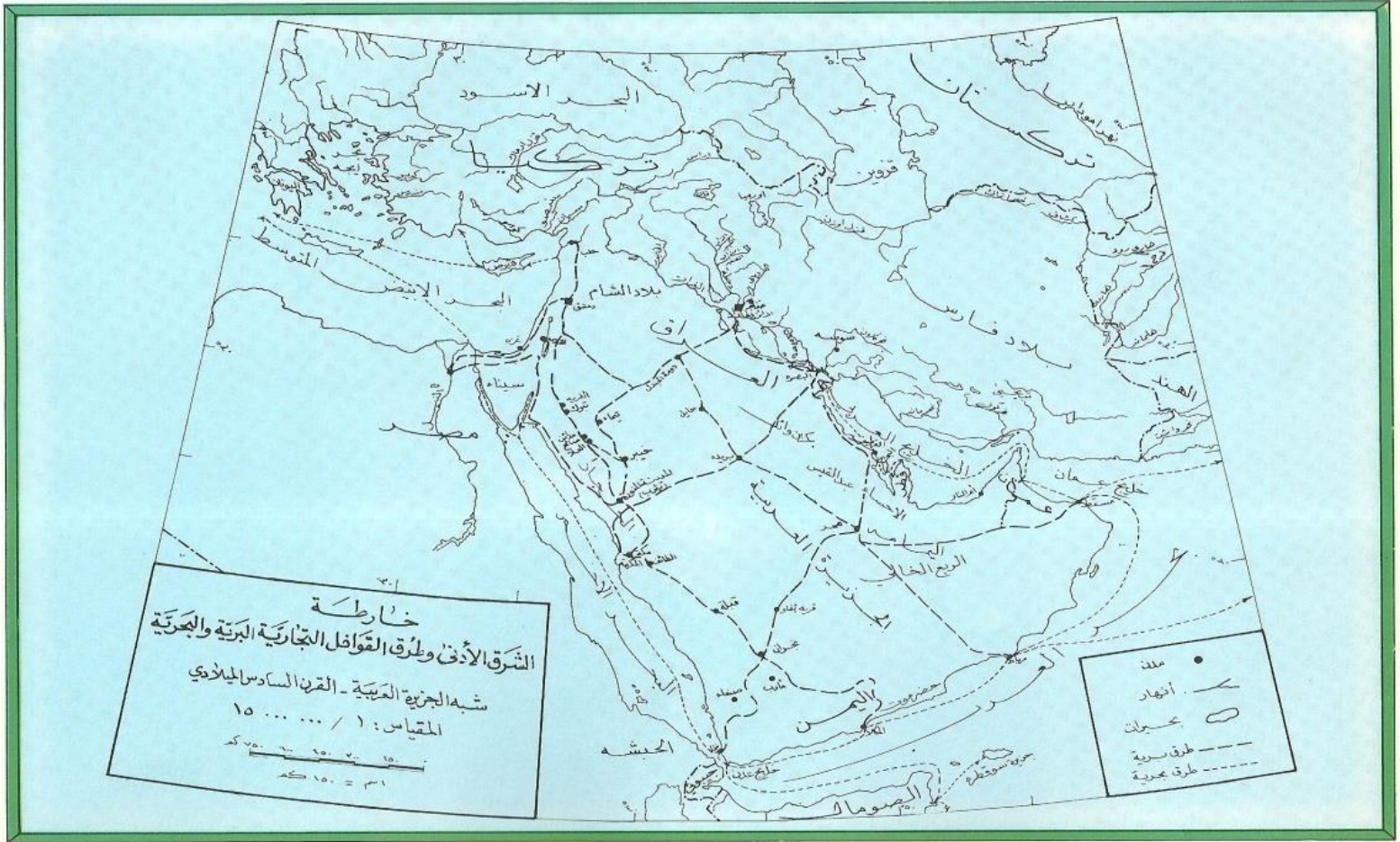


خارطة ١: موقع شبه الجزيرة العربية من العالم.

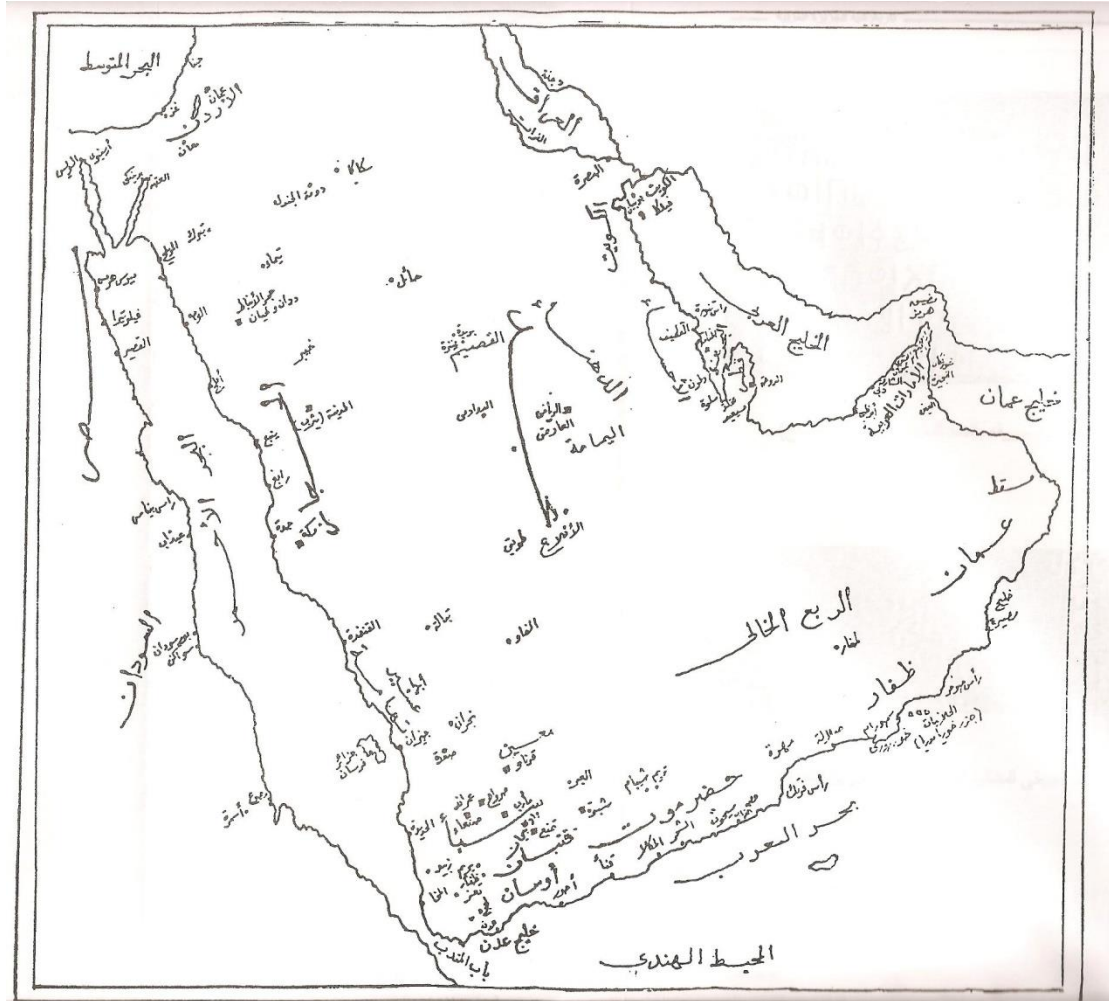
http://www.edu-maps.com/images/1a_3.jpg

<http://www.e-portal.ae/vb/showthread.php?t=3061>

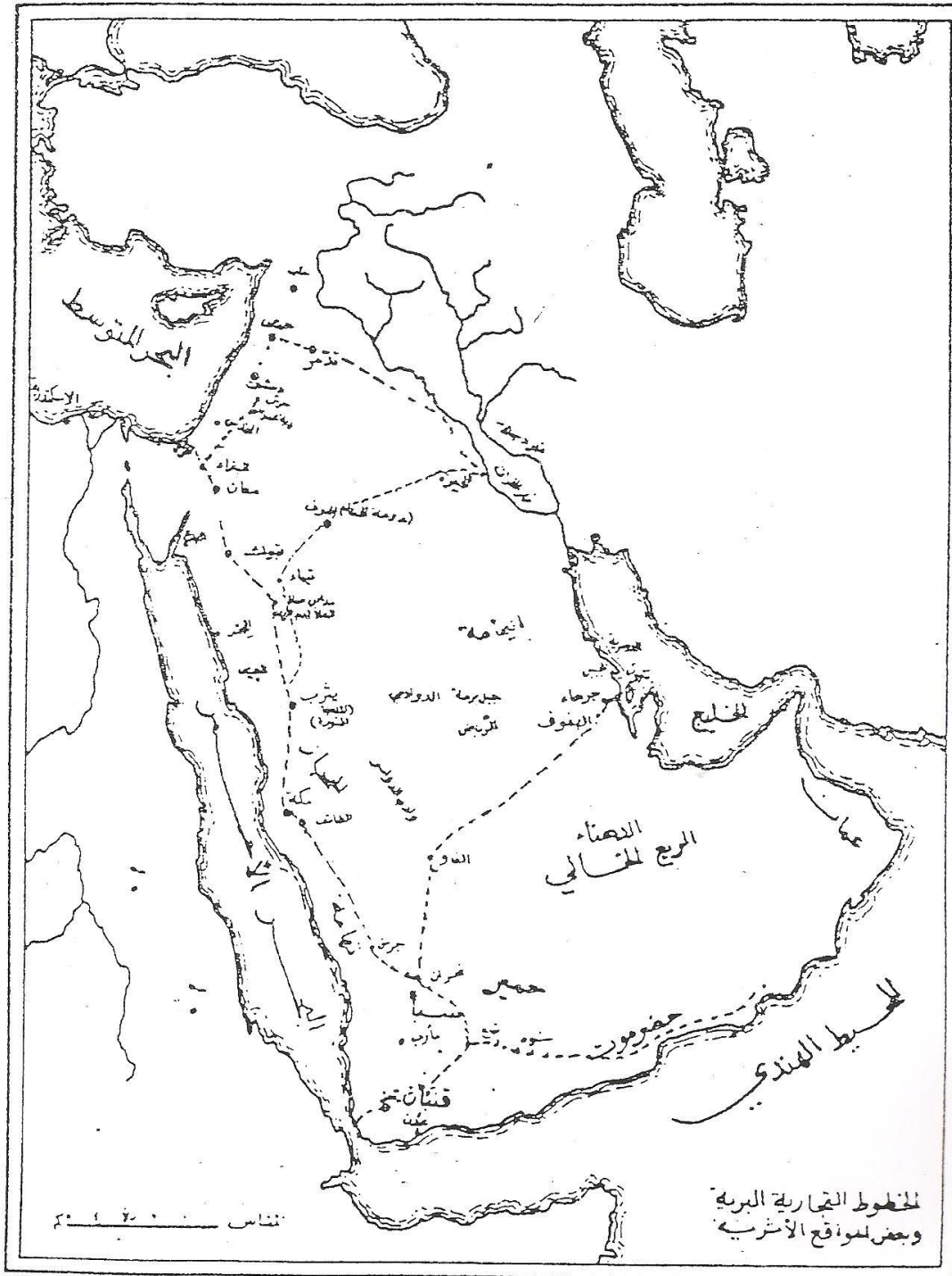
خارطة ٢ : طرق التجارية في الجزيرة العربية والشرق الأدنى



الصفدي، هشام، الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي.



خارطة ٣
صالح، عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة.



ابن الأثير المؤرخ، عز الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الشيباني
الجزري ٦٣٠- ٥٥٥هـ، ١٩٨٧، الكامل في التاريخ، ج١- دار الكتب العلمية.
دار الدائرة للنشر والتوثيق ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، الثقافة التقليدية في المملكة العربية
السعودية، كتاب الآثار، م٢، دار الدائرة للنشر والتوثيق- الرياض.
الصفدي، هشام وآخرون ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، الدليل الأثري والحضاري لمنطقة
الخليج العربي - مكتب التربية العربي لدول الخليج- الرياض.
مهران، محمد بيومي ١٤٢٧هـ، تاريخ العرب القديم، ط٢- دار المعرفة الجامعية-
الإسكندرية.
ديمانج، فرانسواز ٢٠١٠، طرق التجارة القديمة (قوافل البخور): روائع آثار المملكة
العربية السعودية- المجموعة الأوربية- إيطاليا.
نايقل، قروم ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م ، اللبان والبخور: دراسة لتجارة البخور العربية،
ترجمة: عبد الكريم بن عبدالله سحيم الغامدي- النشر العلمي والمطابع- جامعة
الملك سعود- الرياض.
يحيى، لطفي عبدالوهاب ١٩٧٩م، العرب في العصور القديمة، ط ٢- دار النهضة
العربية- بيروت.
أبو العلا، محمود طه ١٩٧٢، جغرافية شبه جزيرة العرب، الجزء الثالث والرابع-
القاهرة.
مونرو، اليزابيث ١٩٧٦، الجزيرة العربية بين البخور والبتترول، ترجمة: محمود
محمود، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الثانية- دار الملك عبدالعزيز-
الرياض.
صالح، عبدالعزيز ١٩٨٨، تاريخ شبه الجزيرة العربية- مكتبة الانجلو المصرية-
القاهرة.
صالح، عبدالعزيز ٢٠٠٤، حضارة الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق، ج١- مكتبة
الانجلو المصرية- القاهرة.
علي، جواد ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢- بيروت.
موسل، ألويس ١٩٥٢، شمال الحجاز، ترجمة: عبدالمحسن الحسيني- الإسكندرية.
أبو الحسن، حسين بن علي ٢٠٠٥، الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية-
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس.
الطيباوي، عبداللطيف ١٩٦٦، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء ٢-
بيروت.
نافع، محمد مبروك ١٩٥٢، تاريخ العرب عصر ما قبل الاسلام- القاهرة.